

مجزة بوتشا: كيف يجر بوتين نفسه إلى محكمة العدل الدولية

تامر شهاب

مقدمة

أعلن وزير الخارجية الأوكراني؛ ديميتري كوليبا، في الثالث من نيسان/ أبريل 2022 عن وقوع مجزة متعمدة ضد المدنيين على يد القوات الروسية في مدينة بوتشا شمال غربي كييف¹. وردًا على ذلك، أصدرت الجهات الحكومية الروسية بياناتٍ نفت فيها هذه الاتهامات ووصفتها بالتلفيق الهادفة للاستفزاز². تأتي هذه الحادثة في ظل جو غربي مشحون تجاه روسيا، وتوتر أمني يسود أوروبا ككل، ترقبًا لما يُمكن أن تكون عليه إرهابات الغزو الروسي على أوكرانيا، إذ انقسم العالم بين مؤيد لرواية موسكو، التي تدعي أن وجودها في أوكرانيا يهدف لتحرير الأوكرانيين من "النازيين الجدد"، وتشدد على أن حربها ضد من يرفع السلاح في وجهها، لا ضد المدنيين³، وبين مؤيد لنظيرتها في كييف، التي ترى أن روسيا تغزوها بهدف تدميرها، وأن "الاحتلال الروسي" يقتل ويُبيد المدنيين دون تفرقة، وبحسب وجهة نظرهم فإن بوتشا أكبر دليل على ذلك⁴.

خلفية الغزو الروسي على أوكرانيا

لا يخفى على أحد رغبة روسيا في إيجاد عالم متعدد الاقطاب يُنهي الهيمنة الأميركية على النظام الدولي، وبالتأكيد فإن أوكرانيا جزء مهم من تحقيق هذا الطموح؛ لكون روسيا تراها جزءًا من الأمة الروسية، وامتدادًا تاريخيًا وجغرافيًا لها، وتحظى بموقع جغرافي مهم يفصل بينها وبين دول حلف شمال الأطلسي "الناطو". وفي ضوء ذلك؛ فإن ميل أوكرانيا المستمر نحو الغرب، ونسجها لاتفاقيات تعاون ولعلاقات وطيدة معه⁵، ورغبتها المعلنة بالانضمام للناطو؛ يعد تهديدًا لوجود روسيا وأمنها القومي. فرأت روسيا أن غزو أوكرانيا يحفظ مخططاتها فيما يخص بنية النظام الدولي، ويحمي أمنها القومي من أذرع الناطو الممتدة لنفوذها الإقليمي.

¹ Kuleba, Dmytro (@DmytroKuleba). 2022. "Minister of Foreign Affairs of Ukraine Twitter post." Twitter, April 3, 2022, 12:19 pm. <https://2u.pw/vdz8r>.

² Russian Defense Ministry. 2022. "Russian Defense Ministry Facebook page." Facebook, April 3, 2022. <https://cutt.us/ZBn1t>.

³ TASS News Agency, "Kremlin emphasizes need to liberate Ukraine from neo-Nazis," 24/2/2022. <https://tass.com/politics/1409999>.

⁴ مقابلة مع الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، برنامج لقاء خاص على قناة الجزيرة، 2022/4/8. <https://cutt.us/CwVOF>.

⁵ موقع BBC News، "أوكرانيا وجورجيا ومولدوفا توقع اتفاق الشراكة الأوروبية رغم الانتقادات الروسية"، 2014/6/27، <https://cutt.us/yeb>.

ترجمت روسيا تهديداتها واقعًا في 24 شباط/ فبراير 2022، بإعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، عن البدء "بعملية عسكرية خاصة"⁶ في أوكرانيا. في البداية، انفصلت جمهوريتا دونيتسك ولوغانسك باعتراف روسي، ووقعتا على صيغة دفاع مشترك مع الروس⁷، ما أعطى روسيا وجودًا "شرعيًا" في أوكرانيا من وجهة نظرها. بالإضافة إلى ذلك، وزع الروس جوازات سفر على كثير من سكان هذه المناطق، وبالتالي أصبحوا مواطنين روس تحت الحماية الروسية⁸. وأخيرًا، لم يقف الانفصاليون عند حد الأراضي التي استولوا عليها، بل طالبوا بجميع مناطق دونيتسك ولوغانسك، ما جعل أوكرانيا معتدية، ومحتملة للجمهوريتين، الأمر الذي برر تدخل روسيا وغزوها لأوكرانيا، وفقًا للمسؤولين الروس⁹.

منذ ذلك الحين، تهاوت المدن الأوكرانية في الشمال والشرق واحدةً تلو الأخرى، وسقط العديد من القتلى والجرحى منذ بدء الغزو الروسي على أوكرانيا، ودُمرت المنشآت، ووصلت القوات الروسية لمشارف العاصمة الأوكرانية كييف. تلخص موقف روسيا في نيتها "تخليص أوكرانيا من النازيين الجدد"¹⁰، في مقابل موقف أوكرانيا الذي يعد الغزو الروسي لها عدوانًا عسكريًا عليها.

مجزرة بوتشا وردود أفعال الطرفين

في ظل المفاوضات الثنائية بين روسيا وأوكرانيا في إسطنبول، وقعت مجزرة بوتشا لتلقي بظلالها على المشهد في شرق القارة العجوز. وقد برز ذلك مع تبني كل طرف من طرفي الصراع ادعاءاته التي يرى أنها تدعم روايته، فالجانب الروسي قال أن متخصصي وزارة الدفاع كشفوا عن علامات تزيف في الفيديوهات الخاصة بالمجزرة، وأنها عملية ملفقة، وأن روسيا لم ولن تقتل مدنيين، وأن الجيش الروسي غادر بوتشا دون عنف لسكانها¹¹. بناء على ذلك، قدمت روسيا طلبين لمجلس الأمن لبحث مسألة بوتشا، إيمانًا منها أنها لم ترتكب جرمًا هناك، ولكن بريطانيا رفضتهما¹². وفي محاولة لتخفيف الضغط، فتحت لجنة التحقيقات الفيدرالية الروسية تحقيقًا جنائيًا حول

⁶ BBC News, "Ukraine: Putin announces special military operation in TV declaration," 24/2/2022.

<https://2u.pw/5FD2B>

⁷ BBC News, "Ukraine: Putin announces Donetsk and Luhansk recognition," 21/2/2022. <https://2u.pw/4AK8d>.

⁸ موقع الجزيرة نت، "دونيتسك ولوغانسك.. من التمرد إلى الانفصال وإعلان الجمهورية"، 2022/2/22. <https://cutt.us/8154I>

⁹ إبراهيم هائل، "3 نقاط خلاف رئيسية بين موسكو والغرب أشعلت الحرب في أوكرانيا"، أورينت نيوز. 2022/2/24.

<https://cutt.us/VD2zX>

¹⁰ TASS NEWS AGENCY, "Kremlin Emphasizes need".

¹¹ Russian Defense Military, "Russian Defense Ministry Facebook page."

¹² ابتسام عازم، "غضب روسي بعد رفض بريطانيا طلب موسكو عقد اجتماع طارئ في مجلس الأمن حول بوتشا"، موقع العربي الجديد.

<https://2u.pw/q4svq>. 2022/4/5

صورٍ أظهرت إعدام أسرى روس على يد قوميين أوكرانيين، حسب ادعاءها¹³. وفي ردٍ آخر، تقول موسكو: إن الهدف من هذه "الأكاذيب" هو تشويه صورة جيشها، فالغرب أدانها دون أي تحقيق أو محاكمة¹⁴.

أما الجانب الأوكراني، فقد سعى لاستغلال الحادث سياسياً وقانونياً لصالحها، إذ حاولت القول بأن حادثة المجزرة تشبه أحداثاً شبيهة وقعت سابقاً مثل؛ أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، والحرب العالمية الثانية¹⁵، والقول بأن "آلة الدمار" الروسية ستصل بعد كييف إلى المدن والقرى الأوروبية¹⁶، ورأوا أن مذبحه بوتشا، يجب أن تزيل أي ترددٍ غربي في تزويدهم بكافة أنواع الأسلحة الثقيلة بالتحديد (دبابات وأنظمة دفاع جوي متطورة)؛ لكي يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم، وطالبوا بإيقاع أشد العقوبات على روسيا، ووقف تدفق أي أموال في روسيا وإليها (سلع وغاز وغيره)¹⁷. بالإضافة إلى ما سبق، ضغط الأوكرانيين من أجل موقفهم التفاوضي بتلقي ضمانات أمنية، مستغلين التعاطف مع المجزرة¹⁸. وطالبوا بعقوبات أقسى تتعلق بنظام سويغت المالي، وحظر المواد البترولية الروسية، وعقوبات لا يمكن تخطيتها على الذهب؛ وبرروا كل ما سبق بحجة "تجنب بوتشا جديدة"¹⁹.

وتعقيباً على ما سبق من ادعاءات، فمن المرجح حدوث عمليات قتل فعلاً، ولكن يبدو أن أوكرانيا نجحت في استغلال الحادثة، لتحقيق مكاسب سياسية وقانونية. فالمتابع يرى توقيت الإعلان عن المجزرة، يتوازى وتوقيت جولة المفاوضات بين الطرفين في تركيا. ولهذا، لربما أرادت أوكرانيا إحراج روسيا؛ لتخفيف الضغوط على نفسها على طاولة الحوار، وتليين الموقف الروسي، ومحاولة الجلوس الند للند مع موسكو المتفوقة على كافة الأصعدة.

ويظهر اتجاه آخر يمكن تفسير الأمور من خلاله؛ وهو إدانة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بوصفه مجرم حرب، فربما ترغب أوكرانيا في تأجيج غضب الناتو؛ لجره للتدخل المباشر في هذه الحرب، إذ لم يُخفِ القادة الأوكرانيون هذه الرغبة في تصريحاتهم. وفي هذه الحالة، وحتى لو لم يتدخل الناتو عسكرياً، فمن المرجح أن

¹³ موقع الجزيرة نت، "الحظة بلحظة. تطورات حرب روسيا على أوكرانيا"، 2022/4/5، 12:53. <https://2u.pw/Ab4h8>.
¹⁴ روسيا اليوم، موسكو: لم يتم النظر بتشكيل مجموعة دولية للتحقيق في أحداث بوتشا حتى الآن ولا نؤمن بأي تحقيقات مستقلة"، 2022/4/10. <https://2u.pw/OsGTI>.

¹⁵ EL PAIS, "Devastation in Bucha evidences horror of Putin's war," 4/4/2022. <https://cutt.us/03Plp>.

¹⁶ I News, "Zelensky warns Ukraine invasion 'only the beginning' as Russia wants to capture other nations," 25/4/2022. <https://2u.pw/m80vB>.

¹⁷ Finaical Times, "Ukraine asks for more lethal military aid ahead of Russian Donbas push," 7/4/2022. <https://2u.pw/1ifxM>.

¹⁸ UN News, "Ukraine's President calls on Security Council to act for peace, or 'dissolve' itself," 5/4/2022. <https://2u.pw/F0wtj>.

¹⁹ تي آر تي عربي، "أوكرانيا تدعو لحظر كامل للطاقة الروسية وتتوقع هجوماً واسعاً بالشرق والجنوب"، 2022/4/7. <https://2u.pw/Cs29e>.

تزداد شدة العقوبات، وأن الدول التي لم تفرض عقوبات ستفعل ذلك، كما وسيزداد حجم ونوعية الدعم العسكري المقدم لأوكرانيا.

وأخيراً، وفي أقل الاحتمالات مكسباً، فإن روسيا ستخفض من هجماتها الجوية والصاروخية، وستقوم بالانسحاب وإعادة التمركز، وذلك لحين احتواء الأزمة الراهنة. وهذا ما سيعطي أوكرانيا نفساً أطول في الصمود، ما يعني استنزاف روسيا أكثر، وصورة نصر معنوية تحتاجها كييف بشدة

خاتمة

العديد من الدلائل تشير إلى استغلال أوكرانيا حادثة مجزرة بوتشا لكسب مزيد من التأييد السياسي الدولي. على الرغم من ذلك، أعلن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، استكمال "الخطة المعتمدة للعمليات العسكرية" في أوكرانيا²⁰. كما تراجعت كييف عن التوافقات المبدئية التي تم التوصل إليها في إسطنبول²¹، ما يعني عدم حدوث تغيير لصالحها في المفاوضات. وما زال النатов يخضع لتهديد بوتين في أول أيام الحرب، حين توعده بالرد الفوري على أي تدخل أجنبي²².

كما يمكن القول؛ إن أوكرانيا تسعى إلى جر روسيا، ورئيسها فلاديمير بوتين، إلى محكمة الجنايات الدولية، ومحاكمته بتهمة ارتكاب جرائم حرب. خطوة كهذه معقدة وستواجه صعوبات كثيرة. فرغم وجود فرق متعددة الجنسيات من المدعين العامين، يعملون على توثيق الحقائق _ (آخرها كان وصول فريق خبراء فرنسي للتحقيق في جرائم حرب محتملة) _ فإن روسيا وأوكرانيا ليستا من أعضاء المحكمة الجنائية الدولية، كما أن الأولى لا تعترف بالمحكمة. ثم أن المحكمة لن تصدر سوى مذكرة توقيف، وإصدارها كذلك يستلزم إثبات وجود أسباب معقولة للاعتقاد باقتراح جرائم حرب، ومن المرجح أن تتصرف روسيا كما تصرفت عام 2014 وترفض التعاون مع التحقيق، لذا سيكون من الصعب جداً توقيف أحد ما²³. وحتى لو جرى توقيف متهم ما، فإن إدانته تستلزم وجود إثبات لا يدع مجالاً للشك بارتكابه جريمة حرب، وفي ظل نقص الأدلة وتضارب الروايات الحالية، فإنه من الصعب تحقيق ذلك. إذن؛ يُعتبر هذا السيناريو محتملاً ولكنه بعيدٌ في نفس الوقت.

²⁰ Reuters, "Russia will not pause military operation in Ukraine for peace talks," 11/4/2022. <https://2u.pw/hWyVe>.

²² Independent, "Ukraine: Putin declares war and warns foreign powers of unprecedented 'consequences' if they interfere," 24/2/2022. <https://2u.pw/pUGjt>.

²³ عربي بوست، "هل يمكن محاكمة فلاديمير بوتين بسبب الهجوم على أوكرانيا؟ هذا ما يقوله القانون الدولي"، 2022/3/8. <https://2u.pw/57STv>. انظر أيضاً: دومينيك كاشياني، "ما هي جريمة الحرب؟ وهل يمكن محاكمة بوتين بتهمة ارتكابها في أوكرانيا؟"، بي بي سي نيوز عربي. 2022/4/5. <https://2u.pw/6Qarj>.